سيداتي سادتي

إسمحوا لي في البدء أن أُحييكم بلغة الآشوريين الأم التي يقدّر عمرها المحكي (علميًا وأكاديميًا) نحو ثلاثة آلاف سنة،

ܟܟܡܐ .. ܟܬܒܪܐ ܒܪܐ, ܡܚܒ ܝܬ ܡܝܬ ܒܚܘܟܡܘ ܫܒ ܟܒܫܐ ܗܝ ܐܡ ܟܘܡܐ ܐܘܡܟܪܐ ܡܝܟܒܐ ܣܪܒܐ ܐܡܪܐ ܕܝܪܡ, ܘܘܪܒܫ ܗܟܒܬ ܟܒ ܟܒܬܝ ܟ ܟܒܬܝ, ܒܟ ܟܝܟܪܒܬܝ.

هذه اللغة تُعَدُّ ثاني أقدم لغة ما زالت محكية في العالم، وهنا يطرَح السؤالُ على منظمة الأمم المتحدة وكل المنظمات الإنسانية في العالم: هل تستحق هذهاللغة الموت والزوال؟ وهل يستحق الشعب الناطق بها التهجير والاذلال؟ وتقتلع ألسنة الأطفال الذين يلهجون بها من أزقة الوجود!

أيها الحضور الكريم ..

محدثكم آشوري عراقي.. وأعتذر منكم سلفًا في تقديمي هُويتي القومية على هُويتي الوطنية، وهذا يعزى إلى الثقافة القومية (العربية رسميًا) التي نشأنا وتربّينا عليها في العراق الحديث، وهي الثقافة الطاغية التي رسّختها الحكومات العراقية اللاوطنية. وهذا ما لا اتمناه للأجيال العراقية الواعدة حيث أتوسم منهم أن يُصححوا المعادلة باتجاه عراقيتهم أوّلاً ثم الانتماءات الأُخر. وإن كنا اليوم نتربّى على ثقافة طائفية بإمتياز، وهي بلا شك أخطر بكثير من الثقافة التي جُبلنا عليها في العراق المهووس بصناعة الطغاة والغزاة.

الآشوريون المعاصرون، هم مجموعة عرقية ساميّة ذات أصول إثنية واحدة، سكنت منذ زمن موغّل في القدم، في بلاد النهرين، وينحدر أصلهم من حضارات قديمة في العالم القديم، أهمها: الأكّديّة والآشوريّة والبابليّة والآراميّة، لذا يؤمنون بأنهم أحفاد الآشوريين القدامى الذين بنوا حضارة عظيمة في الشرق الأوسط، والذين حكموا المنطقة قرابة ألفي عام، في إمبراطوريّة قويّة مترامية الأطراف، ضمّت شعوبًا مختلفة، وأسهمت بشكل كبير في الحضارة البشريّة. إلا أنّ نظامهم السياسي، سقط في العاصمتين: نينوى عام 612 ق.م، وبابل عام 539 ق.م. تباعًا،وفقد الآشوريون عنصر الوحدة السياسيّة فيما بينهم. إلا أنّ تواصلهم التاريخي حتى اليوم والذي يمتد لأكثر من خمسة آلاف سنة، يفسّر عدم انقراضهم بسقوط نظامهم السّياسي، كما يزعم بعضهم، حيث احتفظ ورثتهم، أي آشوريو اليوم، بمعظم مقومات أجدادهم القوميّة من لغة، وعادات، وتقاليد، وتاريخ، وتراث، ومشاعر، وما إلى ذلك. وهنا نؤكد أنَّ الشعوب لا تسقط بسقوط أنظمتها السياسية، فكيف بشعب حضاري يمتلك كل الأدوات الفكرية والثقافية والاجتماعية والدينية التي تعينه على التواصل في الحياة والبقاء معطاءً فيها. هل سقط العراق وأنقرض الشعب العراقي بسقوط نظامه السياسي في ربيع 2003؟

ويُعَدُّ الآشوريون من أقدم الشعوب في المنطقة، وفي العالم، التي اعتنقت المسيحيّة، منذ انتشارها في القرون الميلاديّة الأولى، فأسهموا في نشرها في الشرق كله، ثم في مناطق آسيا الوسطى، والهند، وحتى الصين. وكانت المسيحيّة الشرقية، قد وحَّدَت الشعوب النهرينيّة ذات العرق القومي الواحد فيها، وصهرتهم في بوتقة التسميّة السُّريانيّة، التي ترسّخت بانتشار المسيحية الشرقية ذاتها في سهول الانتماء وجبالها. وأصبحت الكنيسة، مظلّتهم الروحيّة والعلمانيّة، وأعطوا عقيدتهم المسيحية الجديدة، عصارة فكرهم وحضارتهم. لكن وحدتهم المسيحية، بدأت تتمزق، إثر

الانقسامات الكنسيّة التي حلّت بهم، في القرن الخامس الميلادي والتي أدّت إلى انشطار كنيستهم الرسوليّة المؤسّسة، إلى كنيستين رئيستين: شرقيّة ومشرقيّة. ثم لاحقًا إلى كنائس متعدّدة،ما أدّى إلى تعدّد تسمياتهم (مثل السريان والكلدان والآراميين وغيرها)، وإنْ كانت تنتمي جميعها إلى أصلٍ قومي واحدٍ، وتفضي إلى دلالة إثنية واحدة.

وبعد ظهور الإسلام، تراجع دورثقافتهم ولغتهم لصالح اللغة العربيّة الناهضة، وأسهم الآشوريون السريان، وإلى حد كبير، في ازدهار الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وخاصّة في عهدي الدولتين الأمويّة والعباسيّة. غير أن المجازر التي حلّت بهم، منذ الغزو المغولي في القرن الثالث عشر مرورًا بمذابح الأمراء الفرس والكرد، ثم الاضطّهادات اللاحقة الصادرة بفرمانات تركيا العثمانيّة، كانت كفيلةً بانحدار عددهم من الأكثريّة إلى الأقليّة، فظلّت ذاكرة الدماء تثقل الرأس الآشوري في ضمان وجوده في ولاية الحياة. ونتيجة هذه الاضطهادات المتعدّدة، كانت الهجرة إلى بلدان المعمورة، لتقضي أو تكاد على آمال بقائهم ووجودهم في مواطنهم التاريخية. وتفاقمت الهجرة بعد حرب إسقاط نظام صدّام حسين، والانفلات الأمني الذي تبعها، والقتل على الهويّة الذي صاحَبَها. وحيث كان إضطهاد الأقليات غير المسلمة في العراق والمنطقة، هو السبب الرئيس للهجرة والتهجير وتداعياتهما، فيجب إظهار هذا الاضطهاد، أيًا كان نوعه، وحجمه، وكشفه للعلن، بغية إلغائه، لأن التستر عليه، وإخفاءه، ومجاملة الحكومات المسؤولة عنه، يديمه، وربما يجعله مضاعفًا، كما يحصل الآن.

واليوم أفرزت أحداث الموصل وسهل نينوى وسنجار، حقيقة لا يمكن التغاضي عنها في أنّ الجيش العراقي وقوات البيشمركة غير قادرين على حماية مناطقنا المتنازع عليها بينهم، لأنهم ببساطة متناهية غير قادرين على حماية أنفسهم بدليل استنجادهم بالغرب لتخليصهم من داعش وشرّها. وعليه، نطالب بفرض الحماية الدولية بكل صيغها وعناوينها على أراضينا من قبل المنظومة الدولية، لأن عدم ثقة الأقليات غير المسلمة بالقوات المسلحة العراقية، يبرّر هذه الحماية الدولية ويسوّغ ضرورتها الإنسانية أولاً والقومية ثانيًا والدينية ثالثًا.

إن الشعوب الصغيرة مثلنا ومثل الإيزيديين (مقارنة بغيرنا من الشعوب المجاورة) تكون مسالمة وتكره العنف على العموم، وبتوافر الحماية الدولية سوف تنتقل من وضع الشعوب المستضعفة إلى الشعوب التي لا يفكر احدٌ بالتجاوز والتطاول والاعتداء عليها. مثلما حصل للأخوة الكرد الذين تمتعوا بالحماية الدولية منذ مطلع عام 1991، وكل النتائج المتحققة اليوم في إقليم كردستان من أمان واستقرار نسبيين واستثمار ورخاء اقتصادي، وقوة سياسية .. الخ، هي من جرّاء الحماية الدولية وثمارها.

وختامًا نقدّر نحن الآشوريين في كل مكان، ونثمّن عاليًا هذا الجهد الإنساني المسؤول التي تضطلع به المنظمة الدولية الخليجية (IGO) حول إظهار مظلومية الشعوب الأصيلة في منطقتنا، وحقها في الحياة بكرامة إنسانية تليق بإنسان القرن الحادي والعشرين، ويكفي أن يحس الإنسان بشعور الأقلية ليكون إنسانًا حضاريًا وموضوعيًا وديموقراطيًا. إننا نعي تمامًا أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من دون أصدقاء وكذلك الأمم والأوطان والشعوب، فالف تحية وفاء لكل أصدقاء الشعب الآشوري حيثما كانوا، تحية لجبال التاريخ ولأصدقاء اليوم. وتحية إكبار وإجلال إلى كل القائمين على هذا المؤتمر المعبر عن صوت الأقلية بلغة الأكثرية، الذي سعى إلى زرع الأمل فينا

حيثما توافر من يدعم قضية الشعب الآشوري ويساهم في ترسيخ وجوده التاريخي في مناطقه الأصلية في الشرق الأوسط.